محكم

صورة عثمان
من إيثار القبيلة إلى الشهادة

نادر الحمّامي
باحث تونسي

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة © 2015
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved © 2015
Mominoun Without Borders

صورة عثمان

من إيثار القبيلة إلى الشهادة*

* يمثّل هذا البحث فصلاً من كتاب "صورة الصحابي في كتب الحديث" الصادر عن مؤسسّة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، والمركز الثقافي العربي، 2014، وقد ورد في الأصل بين الصفحتين 161- 182

ملخّص:

شخصيّة الخليفة الثالث عثمان بن عفّان شخصيّة إشكاليّة بامتياز، فقد كانت محلّ جدل عقائديّ واسع، ومثّل مقتله لحظة يمكن وصفها بالتأسيسيّة في الفكر الإسلامي برمّته، إذ به انطلق ما عُرف باسم "الفتنة الكبرى" الّتي على أساسها ستنشأ الفرق الكلاميّة وستقوم صراعات عنيفة ودمويّة كبرى. وقد كان كلّ ذلك مجال نظر في دراسات وبحوث كثيرة، غير أنّ الاهتمام في هذا العمل لا يتعلّق بشكل مباشر بالمسألة التاريخيّة أو الكلاميّة وإنّما بالسعي إلى تحليل صورة هذا الصحابيّ كما تمثّلها الضمير الإسلامي السنّي بالخصوص حتّى يدرأ من خلال المرويّات والأخبار الواردة في شأنه ما طعن به مخالفو أهل السنّة في عثمان. ومن الملاحظ أيضًا أنّ ذلك الضمير قد سعى جاهدًا إلى تكثيف الفضائل، التي كانت عند التمعّن فيها عودة قويّة إلى الأخلاق القبليّة، وحوّل مقتل عثمان الناتج عن مواقف سياسيّة وماليّة، إلى شهادة، فغدا عثمان المقتول على أيدي أهل الأمصار من المسلمين شهيدًا في سبيل الله.

"ومن الطبيعيّ أنّ الآراء الموروثة والقيم والأخلاق والمصالح لا تضمحلّ بمجرّد ظهور الرسالة النبويّة، إنّها في الغالب تنحني انحناء القصبة عند هبوب الريح ولا تنكسر أو تموت، فهي تنتظر مرور العاصفة لتنتصب قائمة من جديد وتبرز إلى السطح في ثوب غير ثوبها القديم، وهي بالخصوص ستحاول الاستفادة من الوضع الطارئ وتوظيفه لاسترداد ما فقدته"

عبد المجيد الشرفي، **الإسلام بين الرسالة والتاريخ**، ص 46.

قُتِل عمر مخلّفًا تركة ثقيلة من الأموال والفتوحات، وختم حياته بتعيين أعضاء مجلس الستّة الّذي يضمّ من بين أعضائه الخليفة القادم بالإضافة إلى ابنه عبد الله الّذي لم يكن له من الأمر شيء[1]. وكانت تركيبة هذا المجلس تحمل في طيّاتها استبعاد عليّ عن الخلافة مرّة أخرى، لصالح عثمان، فالنسبة القبليّة كانت في صالحه باعتبار عثمان أمويًّا، وهو الفرع القرشيّ نفسه الّذي ينتمي إليه الزبير بن العوّام من جهة الأمّ، وكذا الشأن بالنسبة إلى سعد بن أبي وقّاص، وبذلك يكون ثلاثة أفراد من أصحاب الشورى موالين لبني أمّيّة وممثّلهم الأبرز عثمان. هذا الأمر يشير إليه خبر رواه الطبري في معرض حديثه عن قصّة الشورى، فبعد أن خرج الستّة من عند عمر وكان قد جعل القرار الأخير بيد عبد الرحمان بن عوف إذا تساوت الآراء ولم يتمّ القبول بتحكيم عبد الله بن عمر قال عليّ "لقوم كانوا معه من بني هاشم: إن أطيع فيكم قومكم لم تؤمّروا أبدًا، وتلقّاه العبّاس فقال: عدلت عنّا؟ فقال: وما علمك؟ قال: قرن بي عثمان وقال: كونوا مع الأكثر، فإن رضي رجلان رجلاً ورجلان رجلاً فكونوا مع الّذين فيهم عبد الرحمان بن عوف، فسعد لا يخالف عمّه عبد الرحمان، وعبد الرحمان صهر عثمان لا يختلفون فيولّيها عبد الرحمان عثمانَ"[2].

وبالإضافة إلى الولاء القبلي، وعلاقات المصاهرة الّتي كان لها دور هامّ في تنصيب عثمان خليفة، فإنّ الثروات الماديّة كان لها هي الأخرى دور بارز، فقد كان عثمان وابن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقّاص من أصحاب الأموال، خلافًا لعليّ. وقد كان أصحاب الأموال على وعي بأنّ عثمان هو الّذي سيحقّق لهم امتيازاتهم ويكرّسها. ولعلّ هذا الاعتبار لم يكن سببًا في استخلاف عثمان فحسب، بل إنّه كان السبب المباشر في دخول الكثير من أصحاب الثروات والامتيازات من قريش في الإسلام من قَبلُ، بقصد المحافظة على امتيازاتهم الّتي ضمنتها لهم أعراف القبيلة "فالفئات صاحبة السلطة المعنويّة والماديّة دخلت الإسلام حاملة معها

[1] الطبري، التاريخ، م 2، ص 750

[2] المصدر نفسه، م 2، ص 751

طموحاتها في ألاّ يقع المساس بامتيازاتها، بل في تدعيمها إذا أمكن"[3]. ويمدّنا هذا الاعتبار بتفسير لدخول عدد كبير من أشراف مكّة في الإسلام بعد أن فهموا أنّ الغلبة مالت لمحمّد وأتباعه خاصّة بعد صلح الحديبيّة، والاقتراب شيئًا فشيئًا من فتح مكّة. ففي السنة الثامنة للهجرة، أي عام الفتح "قدم عمرو بن العاص مسلمًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسلم عند النجاشي، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري وخالد بن الوليد بن المغيرة قدموا المدينة في أوّل صفر"[4]. ولعلّ هذه هي الفترة نفسها الّتي أعلن فيها الرسول بقاء الامتيازات القبليّة للداخلين في الإسلام، ربّما ترغيبًا منه في الإسلام، فقد روي أنّ عكرمة بن أبي جهل الّذي "أسلم بعد الفتح بقليل"[5] شكا إلى الرسول "أنّه إذا مرّ بالمدينة قيل له: هذا ابن عدوّ الله أبي جهل، فقام الرسول خطيبًا فقال: إنّ الناس معادن خيارهم في الجاهليّة خيارهم في الإسلام"[6]. وفي الإطار نفسه يمكننا تنزيل ما روي من تصرّف النبيّ يوم فتح مكّة مع أبي سفيان بن حرب وتأكيد أنّه: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"[7]. ولا يخفى ما في هذا القول من تمييز لذوي الأسنان في قريش، وهو تمييز تدعّم بالعطاء الّذي خصّت به فئة جديدة هي المؤلّفة قلوبهم، وقد كانوا من أشراف قريش بالأساس.

حاول عمر إلغاء هذه الامتيازات الّتي بدأت قبل وفاة النبيّ وتواصلت أيّام أبي بكر، ولكنّه أعادها من حيث يدري أو لا يدري بتعيينه لأهل الشورى الّذين كانوا في حاجّة ماسّة إلى عودة الامتيازات، فكان اختيار عثمان خليفةً الخطوة الأولى لتلك العودة.

1. العودة إلى أخلاق القبيلة

تَجْمَعُ المصادر القديمة ما نقمه الناس على عثمان[8]، وعلى الرغم من تعدّد المطاعن عليه فإنّه يمكننا ردّها إلى ثلاث مسائل جوهريّة، الأولى إيثار قرابته وعشيرته في ما تعلّق بالمناصب السياسيّة، والثانية الاستئثار بالمال، وهذا مرتبط بسياسته الماليّة، والثالثة فتتعلّق بجمع المصحف الّذي كُلّف به الموالون لعثمان.

[3] ناجية الوريمّي بوعجيلة، الإسلام الخارجي، ص 56
[4] الطبري، التاريخ، م 2، ص 448
[5] ابن الأثير، أسد الغابة، م 3، ص 566
[6] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 271
[7] صحيح مسلم، كتاب المغازي، باب فتح مكّة.
[8] راجع مثلاً: ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج 1، ص ص 36-38

هذه المسائل أثارت ضدّ عثمان الخاصّة من غير أقربائه، وكذلك العامّة. فالخاصّة رأوا في تصرّفه تهميشًا لهم وإقصاءً عن المناصب وحرمانًا لهم من مال المسلمين، ورأى العامّة، بإيعاز من الخاصّة، في سياسته ابتعادًا عن مبادئ الإسلام وعن الدّين القويم الّذي أعاد لهم الاعتبار.

لقد تغيّرت المقاييس المعتمدة في تنصيب الولاة منذ السنوات الأولى من عهد عثمان[9] وأصبحت مراكز الثقل في الدولة الإسلاميّة تحت إمرة أقرباء عثمان على حساب الصحابة الأوائل. وسنحاول إبراز الفروق بين من عزلهم عثمان ومن ولاّهم. ففي السنة السادسة والعشرين، أي بعد أقلّ من ثلاث سنوات من خلافة عثمان تمّت تولية الوليد بن عقبة على الكوفة خلفًا لسعد بن أبي وقّاص[10]. وبالعودة إلى سيرتهما يتبيّن الفرق، فسعد بن أبي وقّاص[11]من أوائل المسلمين، وهو من المبشّرين بالجنّة، وقد شهد كلّ المشاهد مع النبيّ، إلى غير ذلك من الفضائل المنسوبة إليه بمقاييس إسلاميّة في كتب الطبقات[12]. أمّا الوليد بن عقبة فهو من آل أبي معيط، وهو أخو عثمان لأمّه، ولم يسلم إلاّ يوم فتح مكّة، وروي أنّه نزل فيه من القرآن ما يشين، فقد قيل إنّ آية الحجرات 8/49: [إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا] نزلت فيه. ووصفه الأصمعي وأبو عبيدة والكلبي وغيرهم بأنّه شرّيب خمر. وصلّى بالناس، ومنهم كبار الصحابة، الصبح أربع ركعات وهو سكران والتفت إليهم سائلاً: أزيدكم؟[13]. وفي السنة الموالية، أي في سنة سبع وعشرين "عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وولّى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح"[14]. ولئن تأخّر إسلام عمرو إلى عام خيبر قبيل الفتح، إلاّ أنّ النبيّ أمّره في سريّة ذات السلاسل، واستعمله على عمان، وأمّره أبو بكر على الشام، وولاّه عمر على فلسطين، وقاد جيوش المسلمين لفتح مصر الّتي ولّي عليها إلى حدود أربع سنوات من خلافة عثمان[15]. وفي المقابل فإنّ ابن أبي سرح هو أخ لعثمان من الرضاعة، واعتبر من المرتدّين بعد أن جعله النبيّ كاتبًا للوحي، وبناءً على ذلك أهدر النبيّ دمه يوم الفتح، فاحتمى بعثمان، ولم يقبل النبيّ شفاعة عثمان له إلاّ على مضض آملاً في أن يقوم أحد أصحابه بقتله[16].

---

[9] تذهب جلّ المصادر القديمة المعارضة أساسًا ومن ورائها بعض الدراسات الحديثة إلى تقسيم خلافة عثمان إلى فترتين كلّ واحدة منها تمتدّ على ستّ سنوات، الأولى صالحة والثانية فاسدة، وهذه الفترة الثانية هي التي سبّبت النقمة على عثمان وأدّت إلى قتله، فمقتله كان نتيجة تراكم ما أنكره الناس طيلة فترة خلافته. أمّا التقسيم المذكور فنحسب أنّه متأخّر، ومتأثّر إلى حدّ كبير بمقالات الخوارج الناقمين على عثمان وعلى عليّ بعد التحكيم، ومن بعدهما على الخلافة الأمويّة. راجع هذا التقسيم مثلاً في: القلهاني الإباضي، الكشف والبيان، ص 37. وهو التقسيم نفسه الّذي ذهب إليه الشيعة الإماميّة على الرغم من عدم اعترافهم بشرعيّة خلافة عثمان، انظر: تاريخ اليعقوبي، ج 2، 173. وتبنّى المعتزلة أيضاً هذا التقسيم، انظر: الجاحظ، رسالة في بني أميّة، ص 91. أمّا فيما يتعلّق بالمصادر الحديثة الّتي تبنّت التقسيم وحاولت تبريره فانظر مثلاً: زهير هوّاري، السلطة والمعارضة في الإسلام، ص 174

[10] الطبري، التاريخ، ج 2، ص 759

[11] هو سعد بن مالك القرشي في كتب التراجم والطبقات وغلبت الكنية على اسم الأب.

[12] راجع ترجمته في: ابن الأثير، أسد الغابة، م 2، ص ص 232-236

[13] ابن الأثير، أسد الغابة، م 4، ص ص 650-653

[14] السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 152

[15] ابن الأثير، أسد الغابة، م 3، ص ص 740-742

[16] ابن الأثير، أسد الغابة، م 3، ص ص 153-154

وفي السنة التاسعة والعشرين ينصّب عثمانُ عبدَ الله بن عامر واليًا على البصرة، وكان عمره إذّاك خمسًا وعشرين سنة[17]، فهو لم يولد على الأرجح إلاّ في حدود السنة الرابعة للهجرة، والأهمّ من ذلك أنّه ينتمي إلى بني عبد شمس بن عبد مناف، وهو ابن خال عثمان[18]. أمّا أبو موسى الأشعريّ[19]، وعلى الرغم من الشكوك الحائمة حول دوره في التحكيم وميله المضمر مع معاوية ضدّ عليّ[20]، فقد قيل إنّه هاجر إلى الحبشة، واستعمله الرسول على زبيد وعدن، وكان عامل عمر على البصرة[21]. وتدعّمت سيطرة الفرع الأمويّ على الدولة الإسلاميّة بضمّ كلّ الشام إلى ولاية معاوية في السنة الحادية والثلاثين للهجرة[22].

في هذه الفترة نفسها الّتي قرّب فيها عثمان قرابته، وآثرهم بالولاية دون إقامة اعتبار للقدم في الإسلام أو البلاء فيه، كان يقصي أصحاب النبيّ من ذوي السابقة في الإسلام ممّا جعل الفرق الطاعنة في عثمان والأمويّين من بعده تحفظ قوائم من أسماء الصحابة الّذين نفاهم عثمان[23].

تبرز تولية عثمان لأقربائه في بعض جوانبها عودة إلى تغليب القبيلة على حساب الاعتبارات الدينيّة، وهو أمر يتّضح بجلاء أكبر إذا نظرنا في سياسة عثمان الماليّة، وهي التي تمثّل النوع الثاني من المطاعن الموجّهة إلى الخليفة الثالث.

كانت سياسة عثمان الماليّة منطلقة من أمر هامّ للغاية يتمثّل في نظرته إلى منصبه باعتباره خليفة للمسلمين، بل خليفة لله على الأرض، بل إنّ من الأخبار ما يوضّح أنّ عثمان يقرن الإمامة بحريّة التصرّف في المال، مؤكّدًا أن تصرّفه مماثل لتصرّف سلفه، ولكنّ عمر قمع الناس فلم يخرجوا عليه، ولم ينكروا عمله، وهذا ما يؤكّده قول عثمان لمّا أنكر عليه الناس "لقد عبتم عليّ أشياء ونقمتم أمورًا قد أقررتم لابن الخطّاب مثلها ولكنّه وقمكم وقمعكم، ولم يجترئ أحد يملأ بصره منه ولا يشير بطرفه إليه. أما والله لأنا أكثر من ابن الخطّاب

[17] الطبري، التاريخ، م 2، ص 763

[18] ابن كثير، البداية والنهاية، ج 8، ص 88

[19] اسمه في كتب الطبقات: عبد الله بن قيس.

[20] راجع: ناجية الوريمّي بوعجيلة، الإسلام الخارجي، ص ص 89-97، حيث تقدّم أدلّة على تعاون أبي موسى مع معاوية أثناء التحكيم مستندة إلى صفاته الشخصيّة، ومواقفه السياسيّة السابقة للتحكيم، وعلاقته الودّيّة الّتي ربطته وربطت أبناءه بمعاوية، وبناء على ذلك حاولت تقويض ما تثبته المصادر القديمة من "أنّ أبا موسى ذهب ضحيّة خبث ودهاء تميّز بهما نظيره في التحكيم عمرو بن العاص".

[21] ابن الأثير، أسد الغابة، م 3، ص 263

[22] الطبري، التاريخ، م 2، ص 773

[23] انظر مثلاً: القلهاني، الكشف والبيان، ص 44

عددًا وأقرب ناصرًا وأجدر. إلى أن قال لهم: أتفقدون من حقوقكم شيئًا؟ فما لي لا أفعل في الفضل ما أريد؟ فلم كنت إمامًا إذن؟"[24].

في الخبر ما يؤكّد أنّ عثمان يتصرّف كما كان يتصرّف عمر من قبله، وفي الخبر أيضاً تهديد مبنيّ على العدد والنصرة، ممّا يعيدنا إلى المفاهيم القبليّة بامتياز. وفيه أيضاً إفصاح عن تصوّر مخصوص للإمامة مقترن بالتصرّف في الأموال.

كان لتصوّر عثمان للإمامة أثره البالغ في سياسته، فالأقوال المنسوبة إليه خاصّة أثناء مجادلاته مع الخارجين عليه تبيّن أنّه كان يعتبر نفسه خليفة لله على الأرض لا خليفة للرسول على المسلمين، فغدت الإمامة في نظره حقًّا إلهيًّا يستطيع بموجبه التصرّف بحرّيّة في كلّ ما يتعلّق بإدارة الدولة. وقد برز هذا المعنى في جوابه على من طلبوا عزل عمّاله أو خلع نفسه: "إن كنت مستعملاً من أردتم، وعازلاً لمن كرهتم، فلست في شيء والأمر أمركم. فقالوا: والله لتفعلنّ أو لتخلعنّ أو لتقتلنّ. فأبى عليهم وقال: لا أنزع سربالاً سربلنيه الله"[25]. وردّ عليهم في رواية أخرى بقوله: "لست خالعًا قميصًا كسانيه الله"[26]. ويصبح مثل هذا القول المنسوب إلى عثمان مرفوعًا إلى النبيّ فقد روي عن "عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان: إنّ الله مقمّصك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه"[27]، ويصبح القميص من ثمّ معبّرًا عن "دين الرجل أو عيشه أو تقواه أو علمه أو بشارة له"[28].

ستكون نظرة عثمان إلى منصب الخلافة على أنّها خلافة لله على الأرض أسًّا هامًّا من سياسة الخلفاء من بعده، ولعلّها أيضاً ستكون مشكّلة للنظريّة السنّيّة في الأحكام السلطانيّة المحرّمة للخروج على السلطان باعتبار الخلافة أمرًا إلهيًّا. والأهمّ بالنسبة إلينا هنا أنّ تصوّر عثمان لمنصبه جعله يؤثر أقاربه بالمال، فالمال مال الله[29]، وهو خليفة الله، فيحقّ لخليفة الله أن يتصرّف في مال الله كما يشاء.

بناءً على هذا التصوّر آثر عثمان قرابته بالمال وهو ما حاولت المصادر المعارضة لخلافته خاصّة التأكيد عليه فذكرت أنّ عثمان زوّج ابنته من مروان بن الحكم وأمر له بخمس غنائم إفريقيّة. "وزوّج

[24] ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج 1، ص 32

[25] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 62

[26] ابن الجوزي، المنتظم، ج 5، ص 55

[27] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 106

[28] النابلسي، تعطير الأنام في تعبير المنام، ص 381

[29] كان هذا الاعتبار محلّ خلاف بين أبي ذرّ ومعاوية، فأبو ذرّ يعتبر المال مال المسلمين، في حين كان يعتبر معاوية وعثمان أنّ المال مال الله، وهو خلاف سيؤدّي إلى نفي أبي ذرّ كما سنرى في الفصل الموالي.

عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن أسيد وأمر له بستّمائة ألف درهم وكتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال المسلمين". "وحدّث أبو إسحاق عن عبد الرحمان بن يسار قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى آتاها عثمان فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص، وكان عثمان إذا أجاز أحدًا من أهل بيته بجائزة جعلها فرضًا من بيت المال"[30]. وتذكر المصادر المعارضة أيضاً أنّ عثمان "أنفق على صناعة دوره من مال الله ما لم يأذن الله به"[31].

يمكن أن نعتبر سياسة عثمان الماليّة شكلاً من أشكال إيثار القبيلة على حساب الاعتبارات الدينيّة، ممّا ولّد نقمة عند الفئات المستضعفة الّتي علّقت آمالها على الدّين الجديد في إعادة الاعتبار لها، ففقدت تلك الآمال بتولية عثمان لأقاربه، وإيثارهم بالمال.

بالإضافة إلى كلّ ذلك آثر الخليفة الموالين له حتّى فيما يتعلّق بالمسائل الدينيّة، ونقصد بالأساس عمليّة جمع المصاحف الّتي تشكّل النوع الثالث من المطاعن الموجّهة إلى عثمان. وليس المجال هنا مناسبًا للخوض في إشكاليّات جمع المصاحف وتوحيدها في ما اصطلح على تسميته بالمصحف الإمام أي مصحف عثمان الذي "لم يضبط نهائيًّا عدد السور والآيات وترتيبها إلاّ سنة 20 للهجرة/650 للميلاد نظراً إلى ما لُوحظ من اختلاف في «القراءات» بسبب تداول مصاحف مختلفة"[32]. ولئن اعتبر عمل عثمان في المنظور السنّيّ فضيلة فإنّ المعارضين له اعتبروه مطعنًا[33] وكان عبد الله بن مسعود الّذي اعترف له المسلمون بدرايته الواسعة بالقرآن وتنزيله أبرز المعارضين، والأمر في تقديرنا ملتبس التباسًا كبيرًا بالشأن السياسيّ لدى المعارضين، ومرتبط بصورة يجب أن تقوم لابن مسعود بطل العامّة أساسًا[34].

[30] تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص ص 166، 168

[31] القلهاني، الكشف والبيان، ص 38

[32] عبد المجيد الشرفي، «تنزيل القرآن وتأويله، مواقف كلاسيكيّة وآفاق جديدة»، تعريب حسناء التواتي، الحياة الثقافيّة، عدد 56، (1990)، ص ص 22-31، والشاهد من الصفحة 26. وانظر النصّ الأصلي بالفرنسيّة:

«La révélation du Coran et son interprétation: positions classiques et perspectives nouvelles», *in Lumière et Vie*, 163, (1984), pp. 5-20.

[33] يجب ألاّ نغفل هنا عن نظرة مختلفة لما يروى عن اختلاف المصاحف وجمعها في مصحف واحد مع حرق ما دونه، فاعتبرت كلّ الروايات في هذا الشأن فنّيّة من فنّيات الخطاب الديني حيث الإيهام بالاختلاف، فالاختلاف في كلّ مظاهره ينتمي إلى دائرة الملفوظ الشفوي في حين استقام القرآن نصًّا مكتوبًا على شاكلة النصوص المقدّسة الأخرى، أنظر: وحيد السعفي، في قراءة الخطاب الديني، الفصلين الثالث والرابع، ص ص 149- 193

[34] يذهب وحيد السعفي إلى اعتبار معارضة ابن مسعود لعثمان في ما يتعلّق بجمع المصاحف ضرورة من ضرورات القصّ حتّى تستقيم صورة ابن مسعود بطل العامّة المضطهد، بطل العامّة ذي الثقافة الشعبيّة، فقصّة معارضته لجمع عثمان المصحف لم تكن بهدف إبراز الاختلاف حول المصحف بقدر رسم صورة ابن مسعود، راجع: في قراءة الخطاب الديني، ص ص 187- 190

لقد عُدّ جمع المصاحف في مصحف واحد عند معارضي عثمان مطعنًا، فذكر القلهاني الإباضي ما أنكره الناس على عثمان ومن بين ذلك مسألة جمع المصاحف الّتي لم تحظ بالقبول فقال: "وأمر الناس أن يقرؤوا على حرف واحد، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «إنّ القرآن أنزِل على سبعة أحرف كلّها شاف كاف». وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «من سرّه أن يقرأ القرآن غضًّا كيوم ما أنزل فليقرأ قراءة ابن أمّ عبد»[35]. وحرق المصاحف، قال أبو ذرّ: «يا عثمان لا تحرق كتاب الله فيحرق الله جلدك ويهرق دمك»"[36].

يكشف هذا النصّ عن طبيعة المعارضين لجمع المصاحف، وتوحيد القراءات، وحرق ما دون مصحف عثمان، فهم من الصحابة الأوائل المشهود لهم في الإسلام، فقد ذكر في الخبر أنّ ابن مسعود وأبا ذرّ عارضا ذلك الجمع. والملاحظ أيضاً أنّهما كانا يمثّلان رأس المعارضة السياسيّة الّتي نشأت ضدّ الخليفة الثالث. وهذا ما يجعلنا نضع مسألة جمع المصاحف في إطار سياسيّ بالأساس يرتبط بتقريب الموالين لسياسة عثمان مع إقصاء المعارضين، وإن كان ذلك على حساب القدم في الإسلام والمعرفة بالقرآن[37].

والمهمّ بالنسبة إلينا في هذا المقام أنّ أهل السنّة بالخصوص قد صاغوا عمليّة الجمع في عهد عثمان صياغة تمجيديّة مفادها التقليص من الاختلافات بين المسلمين فيما يتعلّق بكتابهم فكان عمل عثمان إنقاذًا للأمّة "قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى"[38]، والأرجح أنّ هذا التبرير لاحق تاريخيًّا، وما نذهب إليه أنّ جمع المصاحف يهدف إلى الحدّ من تأثير القرّاء في الأمصار، والاستئثار بفهم النصّ لصالح مركز الخلافة عبر إبعاد المعارضين لسياسة عثمان من عمليّة الجمع، من خلال استعمال النفوذ السياسي والقوّة[39].

صحيح أنّنا ما زلنا لا نعرف بدقّة هؤلاء القرّاء ووظيفتهم ودورهم الواضح إلاّ أنّ من الدراسات من قرنهم بالمجال السياسيّ ومن ذلك مثلاً ما يذهب إليه محمّد عابد الجابري من أنّ هؤلاء القرّاء كان لهم "دور سياسيّ بارز في كثير من الأحداث، تناصر تارة هذا الفريق وتارة الفريق الآخر، صادرة في ذلك لا عن مفعول «القبيلة» بل عن حوافز دينيّة أو اعتبارات مصلحيّة. وبما أنّهم «قرّاء» يقرؤون القرآن، ويعرفون «العلم» الخ،

---

[35] المقصود بابن أمّ عبد هو عبد الله بن مسعود.

[36] القلهاني، الكشف والبيان، ص ص 41-42

[37] هذا ما أشار إليه زهير هوّاري إشارة سريعة دون التوسّع فيه، مع اتّباع ما ورد في المصادر القديمة من محاولة جمع أبي بكر وعمر للمصاحف، وحصر الربط بين جمع المصاحف والسياسة في ما يسمّيه ضرورة إيجاد المرجع العقائدي لأسلمة القبائل، راجع: السلطة والمعارضة في الإسلام، ص ص ص 179-183

[38] ابن العربي، العواصم من القواصم، ص 81

[39] يقول العادل خضر: "فالنصّ القرآني قد خسر بالكتابة وإلى الأبد معناه الأوّل، ولا سبيل إلى بلوغ ذلك المعنى إلاّ بالتأويل، ولا سبيل إلى فرض معنى على معنى، ولا تأويل على تأويل، ولا قراءة على قراءة، ولا مصحف على مصحف إلاّ بالقوّة وبمن يحتكر العنف بنوعيه المادّي والرمزي"، الأدب عند العرب، ص 215

فقد كان سلاحهم في مناصرة موقف أو الوقوف ضدّه هو الترويج لقيم معيّنة باسم الدين، فأصبحت القيم الدينيّة نفسها بل الدين نفسه موضوعًا للسياسة"[40]. وغير بعيد عن ذلك يعتبر هشام جعيّط أنّ القرّاء كانوا هم المسبّبين الأوائل للفتنة فيقول: "فالقرّاء، أو المقاتلون- القارئون للقرآن، المسبّبون الأوائل للفتنة كانوا يقاتلون بولع في سبيل تطبيق القرآن الكريم في شؤون المسلمين [...] كان القرّاء يمثّلون قوّة جديدة، مؤدلجة جدًّا، شديدة الانطباع بالقرآنيّة، ويمثّلون في آن واحد الجانب الثوريّ والوجه الإرهابيّ للفتنة"[41].

ونقف في المصادر القديمة على بعض الأخبار الّتي تقرن القرّاء بالمجال الحربي وأبرزها الأخبار المتعلّقة بمقتل القرّاء يوم اليمامة، وهو الّذي كان سببًا في عزم أبي بكر وعمر على جمع المصحف خوفًا من ضياع القرآن. وبقطع النظر عن صحّة الخبر[42]، فإنّه يوحي بأنّ للقرّاء وظيفة قتاليّة، ولم يكونوا مقتصرين على الوظيفة التعليميّة الرامية إلى غرس المبادئ الإسلاميّة في الأمصار المفتوحة. وبتضافر الوظيفتين اكتسب القرّاء مكانة كبيرة في نفوس العامّة، هذا بالإضافة إلى ما اشتهر عنهم من زهد وورع وتقوى، وربّما كان ذلك من طباعهم ولم يكن تطبّعًا. ومع تكاثر عددهم أيّام عثمان بفضل الفتوحات الّتي انطلقت منذ خلافة عمر بالخصوص أصبحوا يكوّنون نواة معارضة لسياسة عثمان بحكم تعارض قناعاتهم مع السياسة الجديدة. فلئن كانت سياسة عثمان، كما رأينا بعض جوانبها من قبلُ، تستند إلى مرجعيّة قبليّة في تولية المناصب وكذلك الأمر بالنسبة إلى العطاء، فإنّ القرّاء حاولوا كسب مكانة اجتماعيّة قائمة على الاعتبارات الدينيّة وحدها، وكان دورهم الأساسيّ المنوط بعهدتهم نشر القرآن ومبادئه في الأمصار المفتوحة.

إنّ محاولة عثمان تأسيس دولة مركزيّة جعلته يسعى إلى احتكار كلّ الأدوار، ولم يكن ذلك ممكنًا إلاّ بعد احتكار فهم النصّ المؤسّس الّذي ينبغي أن يكون واحدًا. ومحاولة الاحتكار تلك يمكن أن تفسّر جانبًا من حيثيّات جمع القرآن ومعارضته.

كانت سياسة عثمان في كلّ وجوهها دالّة على عودة إلى الاعتبارات القبليّة على حساب الشرف الدينيّ الّذي اكتسبته فئات واسعة من المسلمين عوّضوا به الشرف القبليّ، فاستدعت تلك العودة أشكال معارضة سياسيّة التبست بالدّين، وأدّت أمام تمسّك الخليفة بمنصبه إلى قتله قتلاً عنيفًا وصفه الجاحظ بقوله: "وليس هناك عمل قبيح ولا بدعة فاحشة، ولا نزع يد من طاعة، ولا حسد ولا غلّ ولا تأوّل حتّى كان الّذي كان من قتل

[40] الجابري، العقل الأخلاقيّ العربي، ص 68

[41] هشام جعيّط، الفتنة، ص ص 6- 7

[42] يقول العادل خضر معلّقًا على خبر مقتل القرّاء يوم اليمامة وعزم أبي بكر بعد مشاورة عمر على جمع القرآن: "ويمكن أن نعتبر هذا الخبر وأضرابه من قبيل المفسّرات التي تشخّص الدوافع التي حملت الخليفة الأوّل أبا بكر على جمع القرآن، ولعلّها من الأخبار الّتي ترمي إلى تمجيد هذا الخليفة ونسبة الفضل في جمع القرآن وتدوينه إليه"، الأدب عند العرب، ص 340. ولعلّ الخبر أيضاً يبرّر جمع عثمان للقرآن ولا يجعله مبتدعًا بل متّبعًا في ذلك الخليفة الأوّل.

عثمان رضي الله عنه وما انتهك منه، ومن خبطهم إيّاه بالسلاح، وبعج بطنه بالحراب، وفري أوداجه بالمشاقص، وشدخ هامته بالعمَد، [...] ومع ضرب نسائه بحضرته، وإقحام الرجال على حرمته [...] مع وطئهم في أضلاعه بعد موته، وإلقائهم على المزبلة جسده مجرّدًا بعد سحبه [...] بعد السبّ والتعطيش، والحصر الشديد، والمنع من القوت [...] ثمّ مع ذلك كلّه دَمَروا عليه وعلى أزواجه وحُرمه وهو جالس في محرابه، ومصحفه يلوح في حجره، لن يرى أنّ موحّدًا يُقدم على قتل من كان في مثل صفته وحاله"[43].

لقد رأى بعض الدارسين في قتل عثمان بهذه الطريقة "دلالة على شراسة العنف السياسيّ الّذي يكشف عن مدى عمق التناقضات الدنيويّة وحدّتها"[44]، ورأيناه صراعًا بين الشرف القبلي والشرف الديني، وهو صراع جعل هشام جعيّط مثلاً يعتبر أنّ "الإسلام نفسه هو المشرّع ضدّ عثمان، والإسلام هو الّذي سيقتله، فمقتل عثمان انتصار كامل للإسلام المستبطن في الوجدان العربي على مخلّفات الجاهليّة المجسّدة في فرع من قريش الأمويّين ورجلهم عثمان"[45].

غير أنّ مقتل عثمان من قبل الصحابة أنفسهم سبّب شرخًا كبيرًا للضمير الإسلاميّ سعت كتب الحديث إلى لملمته عبر إخفاء سياسة عثمان الّتي أدّت إلى قتله، فأكّدت على شرعيّة خلافته، وعلى عدالته وعدله، وجعلت الخليفة المقتول شهيدًا، غفرت له كلّ أعماله، ألم يقل النبيّ بعد أن جهّز عثمان جيش العسرة: "ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه"[46].

2. درء المطاعن على عثمان وتكريس مفهوم الشهادة

أشعرتنا المصادر السنّيّة في كثير من الأحيان بشيء من الحرج إزاء سياسة عثمان، وصرّحت بعدم رضاها عن تصرّفات ولاته، فلم تغفر لابن أبي سرح ردّته، فأكّدت كتب الحديث أنّ النبيّ لم يقبل شفاعة عثمان لأخيه من الرضاعة يوم الفتح، فروي أنّه "لمّا كان يوم فتح مكّة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان رضي الله عنه، فجاء به حتّى أوقفه على النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثًا ثمّ أقبل على أصحابه فقال: أما رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله. فقالوا ما ندري يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا بعينك. فقال: إنّه لا ينبغي لنبيّ أن تكون له خائنة

[43] الجاحظ، «في النابتة»، ضمن رسائل الجاحظ، م 1، ج 2، ص ص 5-6

[44] محمّد الجويلي، الزعيم السياسيّ في المخيال الإسلاميّ، ص 52

[45] هشام جعيّط، الفتنة، ص 67

[46] سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفّان.

الأعين"[47]. وقرنت كتب الحديث أيضاً بين مقتل عثمان وتصرّفات ابن أبي سرح عند ولايته مصر، وفي ذلك يقول الحاكم النيسابوري: "فمن نظر في مقتل أمير المؤمنين عثمان بن عفّان رضي الله عنه، وجنايات عبد الله بن سعد [ابن أبي سرح] عليه بمصر إلى أن كان أمره ما كان علم أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم كان أعرف به"[48]. ولم ينس أهل السنّة أيضاً للوليد بن عقبة أعماله وصلاته بالناس سكران واستهتاره بعبادتهم، فجعلته كتب الحديث محرومًا من بركة النبيّ فقد روي عن الوليد بن عقبة أنّه قال: "لمّا فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكّة جعل أهل مكّة يأتون بصبيانهم فيمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم على رؤوسهم ويدعو لهم فخرج بي أبي إليه وإنّي مطيّب بالخلوق، فلم يمسح على رأسي ولم يمسّني ولم يمنعه من ذلك إلاّ أنّ أمّي خلّقتني بالخلوق فلم يمسّني من أجل الخلوق. قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه: وقد روي أنّه أسلم يومئذ فتقذّره رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمسّه ولم يدع له، والخلوق لا يمنع من الدعاء، لا جرم أيضاً لطفل في فعل غيره، لكنّه مُنع بركة رسول الله صلى الله عليه وسلم لسابق علم الله تعالى فيه، والله أعلم"[49].

ومن الأخبار السنّيّة أيضاً ما يلمّح إلى مسألة صلاح عثمان في السنوات الستّ الأولى من خلافته، وابتعاده عن الصواب في الستّ الأواخر، ولئن كان المخالفون للخليفة عثمان يصرّحون بهذا التقسيم، فإنّ المصنّفات السنّيّة، ومن بينها كتب الحديث تشير إليها ضمنيًّا، وإن شئنا «رمزيًّا»، وفي هذا الإطار يمكننا إدراج قصّة فقدان عثمان خاتمَ النبيّ في السنة السادسة من خلافته[50]، وهي السنة نفسها الّتي نفى فيها عثمان أبا ذرّ إلى الربذة[51]. لقد جعلت كتب الحديث عثمان «يعبث» بخاتم النبيّ، فكان عبثه سببًا في سقوط الخاتم في البئر فروي "عن أنس قال: كان خاتم النبيّ صلى الله عليه وسلم في يده، وفي يد أبي بكر بعده، وفي يد عمر بعد أبي بكر، فلمّا كان عثمان جلس على بئر أريس، قال: فأخرج الخاتم فجعل يعبث به فسقط. قال: فاختلفنا ثلاثة أيّام مع عثمان، فننزح البئر فلم نجده"[52]. ولم يكن عبث عثمان بخاتم النبيّ في الخبر إلاّ إشارة إلى انزياحه عن سيرة النبيّ والخليفتين من بعده، لذلك وقفنا على جمع بين ضياع الخاتم وخروج الناس على عثمان فقد "قال أبو داود ولم يختلف الناس على عثمان حتّى سقط الخاتم من يده"[53]. "وقال بعض العلماء: كان في خاتمه صلى الله عليه وسلم من السرّ شيء ممّا كان في خاتم سليمان عليه السلام لأنّ سليمان لمّا فقد خاتمه ذهب ملكه، وعثمان

[47] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 47
[48] المصدر نفسه، ج 3، ص 48
[49] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 107
[50] ابن سعد، الطبقات الكبرى، م 1، ص ص 476-477
[51] الطبري، التاريخ، م 2، ص ص 771-772
[52] صحيح البخاري، كتاب اللباس، باب هل يجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر.
[53] سنن أبي داود، كتاب الخاتم، باب ما جاء في اتّخاذ الخاتم.

لمّا فقد خاتم النبيّ صلى الله عليه وسلم انتقض عليه الأمر وخرج عليه الخارجون، وكان ذلك مبدأ الفتنة الّتي أفضت إلى قتله واتّصلت إلى آخر الزمان"[54].

أشارت كتب الحديث إذن إلى التحوّل الطارئ على سياسة عثمان في السنوات الستّ الأخيرة على استحياء تضاعف بعد مقتله على أيدي المسلمين، مع التنكيل به حيًّا وميّتًا، فقد أشارت المرويّات السنّيّة إلى طريقة دفن عثمان ومن ذلك ما ذكره الطبراني عن مالك: "قتل عثمان رضي الله عنه، فأقام مطروحًا على كناسة بني فلان ثلاثًا فأتاه اثنا عشر رجلاً فيهم جدّي مالك بن أبي عامر وحويطب بن عبد العزّى وحكيم بن حزام وعبد الله بن الزبير وعائشة بنت عثمان معهم مصباح في حِقّ فحملوه على باب، وإنّ رأسه يقول على الباب طق طق، حتّى أتوا به البقيع فاختلفوا في الصلاة عليه، فصلّى عليه حكيم بن حزام أو حويطب بن عبد العزّى [...] ثمّ أرادوا دفنه فقام رجل من بني مازن فقال: والله لئن دفنتموه مع المسلمين لأخبرنّ الناس، فحملوه حتّى أتوا به إلى حشّ كوكب، فلمّا دلّوه في قبره صاحت عائشة بنت عثمان، فقال لها ابن الزبير: اسكتي فوالله لئن عدت لأضربنّ الّذي فيه عيناك، فلمّا دفنوه وسوّوا عليه التراب قال لها ابن الزبير: صيحي ما بدا لك أن تصيحي. قال مالك: وكان عثمان بن عفّان رضي الله عنه قبل ذلك يمرّ بحشّ كوكب فيقول: ليدفن ههنا رجل صالح. قال أبو القاسم: الحشّ البستان"[55].

في الخبر تفاصيل عن دفن عثمان ليلاً بطريقة سرّيّة حتّى لا يكتشف المعارضون أمر الدفن، وفيه أيضاً رفض لدفن عثمان في مقابر المسلمين، وفي الخبر ما يدلّ على أنّ الساخطين على عثمان لم يكونوا قلّة بل كانوا عامّة المسلمين، ولا أدلّ من أنّ اثني عشر رجلاً فقط شيّعوا جنازته، والمذكورون بأسمائهم كانوا من أهل عثمان ومن المقرّبين إليه فقط، وليس فيهم من كبار الصحابة أحد. ولكنّ آخر الخبر يحاول تلطيف ما جاء في أوّله، فقد جاء في آخره أنّ عثمان رجل صالح، وتمّ التعتيم في الخبر على أنّ حشّ كوكب لم يكن مجرّد بستان كما علّق الطبراني بل كان مقبرة لليهود وهو ما أكّدته بعض أخبار الطبري مثلاً[56].

لقد عبّرت كتب الحديث عن موضع دفن عثمان الّذي لم يكن في مقابر المسلمين بطريقتها الخاصّة المستندة إلى الإيحاء في كثير من الأحيان، فقد روى أبو موسى الأشعريّ أنّه لازم النبيّ يومًا وكان جالسًا على

[54] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج 10، ص 329

[55] الطبراني، المعجم الكبير، ج 1، ص 78

[56] الطبري، التاريخ، ج 2، ص 819. والجدير بالملاحظة أنّ المصنّفات المتأخّرة سعت إلى إخفاء هذا الأمر ومنها كتب البلدان فقد قال ياقوت الحموي مثلاً: "والحشّ في اللغة البستان [...] وكوكب الّذي أضيف إليه اسم رجل من الأنصار وهو عند بقيع الغرقد اشتراه عثمان بن عفّان رضي الله عنه وزاده في البقيع، ولمّا قتل ألقي فيه ثمّ دفن في جنبه"، معجم البلدان، ج 2، ص 262. وهذا يختلف تمامًا مع ما ذكره الطبري الّذي ذكر أنّ عثمان دفن بحشّ كوكب وهو حائط "كانت اليهود تدفن فيه موتاهم [...] فلمّا ظهر معاوية بن أبي سفيان أمر بهدم ذلك الحائط حتّى أفضى به إلى البقيع فأمر النّاس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتّى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين"، تاريخ الطبري، م 2، ص 819

بئر أريس، البئر الّتي أضاع فيها عثمان خاتم النبيّ، فتوسّط النبيّ قفّ البئر، ودلّى ساقيه فيها "فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلتُ: من هذا؟ فقال أبو بكر. فقلت على رسلك، ثمّ ذهبت فقلت يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: ائذن وبشّره بالجنّة. فأقبلت حتّى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبشّرك بالجنّة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين النبيّ صلى الله عليه وسلم معه في القفّ، ودلّى رجليه في البئر"، ويتكرّر الشيء نفسه مع عمر الّذي جلس عن يسار النبيّ، ولمّا قدم عثمان دخل على النبيّ بعد تبشيره بالجنّة، غير أنّه "وجد القفّ قد مُلِئ، فجلس وجاهه من الشقّ الآخر. قال شريك: قال سعيد بن المسيّب: فأوّلتها قبورهم"[57].

لقد سعت كتب الحديث إذن ومن ورائها المصادر المتأخّرة بالخصوص إلى إخفاء الكثير من تفاصيل مقتل عثمان، ودرء جوانب من طريقة دفنه ومكانه، على الرغم من الإشارة إليها رمزًا، ممّا يكشف عن استحياء كبير ممّا وقع للخليفة الثالث، وهو استحياء عكسه الضمير الإسلاميّ في أبرز قيمة أخلاقيّة نسبتها كتب الحديث إلى عثمان وهي الحياء. هذه القيمة الأخلاقيّة مرتبطة أساسًا بالمرأة غير أنّها اقترنت في الأدبيّات الإسلاميّة ومن بينها كتب الحديث بالنبيّ أيضا فعُدّت من خصاله فقد كان على ما يُروى: "أشدّ حياءً من العذراء في خدرها فإذا رأى شيئًا يكرهه عرفناه في وجهه"[58]. وعدّ الحياء خلق الإسلام فروي عن النبيّ قوله: "إنّ لكل دين خلقًا وخلق الإسلام الحياء"[59]. واعتبر "الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان"[60].

كان عثمان إذن حيِيًا كما كان النبيّ، وتخلّق مثله بخلق الإسلام، وحاز شعبة من شعب الإيمان، ولكن لم ارتبطت الصفة بعثمان إلى الحدّ الّذي اختصّ بها دون سائر الصحابة، فقد كان الإلحاح كبيرًا في كتب الحديث على حياء عثمان، ألا يمكن أن يكون حياؤه انعكاسًا لاستحياء الضمير الإسلامي من مقتله على أيدي المسلمين ومن بين عدد من الصحابة؟

روي عن عائشة قولها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعًا في بيته كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، فتحدّث. ثمّ استأذن عمر، فأذن له وهو كذلك، فتحدّث. ثمّ استأذن عثمان، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه [...] فلمّا خرج قالت عائشة:

[57] صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: لو كنت متّخذًا خليلاً.

[58] صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب.

[59] سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحياء.

[60] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان.

دخل أبو بكر فلم تهتشّ له، ولم تباله، ثمّ دخل عمر فلم تهتشّ له، ولم تباله، ثمّ دخل عثمان فجلست وسوّيت ثيابك، فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟"[61].

لقد جعلت كتب الحديث الملائكة تستحي من عثمان، وربّما لم تكن الملائكة إلاّ تعبيرًا عن الضمير الإسلاميّ الّذي رأى في قتل عثمان شناعة أكبر من قتل عمر والسبب في ذلك أنّ "قتل عثمان رضي الله عنه كان جهرًا عن ملإ وجمع من الناس [...] والّذين قتلوه كانوا مسلمين حملهم الهوى والحنق والحسد على ارتكاب الفعل المحرّم في البلد الحرام في الشهر الحرام، فكان أعظم وأشنع من قتل عمر رضي الله عنه، فإنّ قتله كان على يد رجل واحد قتله غيلة ولم يكن من المسلمين"[62].

إنّ استحياء الضمير الإسلاميّ من قتل عثمان بأيد مسلمة هو الّذي جعل كتب الحديث تصف عثمان بالحياء، فعكست ما شعر به المسلمون في شخصيّة عثمان فجعلته حييًّا، فجمعت كتب الحديث في أكثر من مناسبة أخباراً تؤكّد حياءه، فروي عن أبي أوفى قوله: "استأذن أبو بكر رضي الله تعالى عنه على النبيّ صلى الله عليه وسلم وجارية تضرب بالدفّ فدخل، ثمّ استأذن عمر رضي الله تعالى عنه فدخل، ثمّ استأذن عثمان رضي الله تعالى عنه فأمْسَكت، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنّ عثمان رجل حييّ"[63]. وبناءً على مثل هذا الحديث أخذت مصنّفات المناقب تؤكّد حياء عثمان فحدّث الحسن ذاكرًا عثمان "وشدّة حيائه فقال: إنّه كان يكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء يمنعه الحياء أن يقيم صلبه"[64]. ويبقى الحياء صفة ملازمة لعثمان حتّى يوم القيامة ويحاسب لذلك سرًّا، فروي عن عليّ ابن أبي طالب أنّه سأل الرسول عن أوّل الناس حسابًا يوم القيامة "قال: أنا [...] قلت: ثمّ من يا رسول الله؟ قال: ثمّ أبو بكر [...] قلت: ثمّ من يا رسول الله؟ قال: ثمّ عمر. [...] قلت: ثمّ من يا رسول الله؟ قال: ثمّ أنت يا عليّ. قلت: يا رسول الله فأين عثمان؟ قال: عثمان رجل ذو حياء سألت ربّي أن لا يقف للحساب فشفّعني فيه"[65].

سيولّد الحرج الّذي سبّبه مقتل عثمان على أيدي المسلمين، ومن بينهم صحابة، أخباراً تسعى إلى درء ما شجر بين أصحاب النبيّ حتّى يبرأ جلّة الصحابة من دم عثمان، وأخبارًا أخرى تشكّل صورة لعثمان فتجعل قتله حتميًّا، وترفعه إلى مرتبة الشهداء.

---

[61] المصدر نفسه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفّان رضي الله عنه. وينسب الزهري القول باستحياء الملائكة من عثمان إلى الكذّابين، ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 1، ص 467

[62] المالقي، التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان، ص 236

[63] مسند ابن حنبل، مسند الكوفيّين، الحديث 18325. ولا حاجة في كلّ مرّة إلى التذكير بأنّ ذكر أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان في مثل هذه الأحاديث يندرج ضمن تبرير تتابع الخلفاء الأوائل.

[64] أبو نعيم الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 1، ص 56

[65] المحبّ الطبري، الرياض النضرة، ص 498

لقد سعت الأخبار السنّيّة إلى تحويل معارضي عثمان من الصحابة، الّذين ربّما كانت لهم يد في قتله، إلى مؤيّدين فجعلت عليًّا من أوائل المبايعين، فروي عن أبي سلمة أنّه قال: أوّل من بايع لعثمان عبد الرحمان، ثمّ عليّ بن أبي طالب" وروي عن ابن هنيّ: "أنا رأيت عليًّا بايع عثمان ثمّ تتابع الناس فبايعوا"[66]. وتصوّر الأخبار عبد الله بن مسعود موالِيًا لعثمان ومفضّلاً له فروي "عن عبد الله بن يسار قال: لمّا جاءت بيعة عثمان رضي الله عنه قال عبد الله: "ما آلو عن أعلانا ذا فوق"[67]. وروي أنّ ابن مسعود كان يدعو إلى مبايعة عثمان[68]، بل جعلته يلتزم التزامًا مطلقًا بأمر عثمان جمع المصاحف فروي "عن ابن سيرين قال: كتب عثمان إلى عبد الله يعزم عليه أن لا يضع كتابه من يده حتّى يشخص إليه، قال: فأتى بالكتاب فجعل يذهب ويجيء والكتاب في يده لا يقرأه، فقالت له أمته: أين تذهب والكتاب في يدك، افتح الكتاب فاقرأه، فقال: يا بنت الكافرين، أتريدين أن أبيت عاصيًا لأمير المؤمنين أو أشخص من ليلتي"[69]. وفي السياق نفسه تجعل بعض المرويّات الحسن بن عليّ طائعًا لعثمان عارضًا عليه محاربة محاصريه فروي عن الحسن قوله لعثمان: "يا أمير المؤمنين، إنّا طوع يدك فمُرْني بما شئت، فقال عثمان: يا ابن أخي، ارجع فاجلس في بيتك حتّى يأتي الله بأمره فلا حاجة لي في هراقة الدماء".

لقد سعت هذه الأخبار ومثلها كثير إلى تبرئة جلّة الصحابة من دم عثمان حتّى تقبل في الضمير الإسلاميّ من ناحية، وحتّى لا يتمّ الطعن في عدد من الصحابة اشتهروا بسابقتهم في الإسلام، وبمواقفهم فيه زمن حياة النبيّ، غير أنّ الأخبار لم تستطع درء مقتل عثمان فسعت إلى تحويل المقتل الناتج عن عودة إلى قيم ما قبل إسلاميّة لم يقبلها من عرفوا بالمستضعفين خوفًا من العودة إلى وضعيّة رأوا في الإسلام انقلابًا عليها، ولذلك صوّرت كتب الحديث عثمان شهيدًا، وأكّدت هذه الصفة عبر آليّات عديدة أبرزها التنبّؤ بمقتله، والتركيز على مآله الأخرويّ.

لقد عدّ مقتل عثمان من المنظور السنّيّ فتنة، ولم تكتف المصنّفات بقول ذلك فسعت إلى إيجاد مستندات نصّيّة للقول بذلك فنسبت إلى الرسول قوله: "من نجا من ثلاث فقد نجا. قالوا: ماذا يا رسول الله؟ قال: موتي، وقتل خليفة مصطبر بالحقّ، ومن الدجّال"[70]. ولم تكتف الأخبار باعتبار مقتل عثمان فتنة، فأكّدت على تصويب الخليفة وأصحابه فروي عن أبي هريرة قوله: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنّها ستكون فتنة

[66] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 62
[67] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 104
[68] ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 3، ص 63
[69] ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 1، ص 460
[70] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 108

واختلاف، أو اختلاف وفتنة، قال: قلنا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال: عليكم بالأمير وأصحابه، وأشار إلى عثمان"[71]. والواضح أنّ الخبر جامع للعقائد السنّيّة فيما يتعلّق بمقتل عثمان، فمقتله فتنة، والخارجون عليه وقاتلوه ظلمة، والناجون هم الّذين وقفوا مع الإمام.

لقد سعت مختلف الأخبار المنذرة بمقتل عثمان، وهي كثيرة في كتب الحديث إلى تبرئة عثمان، واستوجب ذلك في المقابل تخطئة الخارجين عليه، ولئن أكّدت كتب التاريخ والعقائد السنّيّة هذا الأمر، فإنّ لكتب الحديث طريقتها الخاصّة بها في صناعة الأخبار فروي "أنّ رجلاً من الأنصار دخل على عثمان فقال: ارجع ابن أخي فلست بقاتلي. قال: وكيف علمت ذاك؟ قال: لأنّه أتى بك النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم سابعك فحنّكك ودعا لك بالبركة. ثمّ دخل عليه رجل آخر من الأنصار، فقال: ارجع ابن أخي فلست بقاتلي. قال: بم تدري ذلك؟ قال: لأنّه أتى بك النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم سابعك فحنّكك ودعا لك بالبركة. قال: ثمّ دخل عليه محمّد بن أبي بكر فقال: أنت قاتلي، قال: وما يدريك يا نعثل؟ قال: لأنّه أتى بك النبيّ صلى الله عليه وسلم يوم سابعك ليحنّكك ويدعو لك بالبركة فخريت على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فوثب على صدره فأتى على لحيته، فقال: إن تفعل كان يعزّ على أبيك أن تسوءه، قال: فوجأه في نحره بمشاقص كانت في يده"[72].

يشبه الخبر خبر تقذّر النبيّ من الوليد بن عقبة عندما أتي به ليدعو له بالبركة، فكما حرم الوليد من بركة النبيّ فصلّى بالناس سكران فإنّ محمّد بن أبي بكر قد حرم هو الآخر من بركة النبيّ فكان مشاركًا في قتل عثمان، وهذا ما يجعل الخبرين مندرجين ضمن قوالب تستعمل في كتب الحديث لتبرير سلوك مرفوض يخفي دواعيه المباشرة ويحصرها في الحرمان من بركة النبيّ ودعائه. وفي الإطار نفسه نقف على أخبار أخرى في كتب الحديث تحاول التأكيد على حرمان مبغض عثمان من بركة النبيّ ودعائه من قبيل ما رواه جابر بن عبد الله: "أتيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل يصلّي عليه فلم يصلّ عليه، فقيل: يا رسول الله ما رأيناك تركت الصلاة على أحد قبل هذا. قال: إنّه كان يبغض عثمان فأبغضه الله"[73].

ولم تكتف كتب الحديث بتكثيف الأخبار المرفوعة إلى النبيّ الّتي تنذر بالفتنة وبمقتل عثمان، فجعلت الكتب القديمة تذكر مقتل عثمان فروي عن عمر بن الخطّاب أنّه سأل كعب الأحبار: "كيف تجد نعتي؟ قال: أجد

[71] المصدر نفسه، ج 3، ص 105
[72] الطبراني، المعجم الكبير، ج 1، ص 83
[73] سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفّان.

نعتك قرنًا من حديد. قال: وما قرن من حديد؟ قال: أمير سديد لا يأخذه في الله لومة لائم. قال: ثمّ مه؟ قال: ثمّ يكون بعدك خليفة تقتله فئة ظالمة"[74].

لقد كان عثمان حسب كتب الحديث عارفًا مصيره، ولكنّه كان راضيًا به تمام الرضا، صابرًا على ما ابتلي به، وهذا ما حاولت أخبار عديدة أخرى بيانه محوّلة عجز عثمان أمام الخارجين عليه إلى التزام تامّ بوصيّة النبيّ بالصبر على بلواه، فروي عن عائشة أنّ النبيّ قال: "ليت عندي رجلاً من أصحابي، قالت: قلت: أبو بكر؟ قال: لا، قلت: عمر؟ قال: لا. قلت: ابن عمّك عليّ: قال: لا. قلت: فعثمان: قال: نعم. قالت: فجاء عثمان فقال: قومي، قالت: فجعل النبيّ صلى الله عليه وسلم يسرّ إلى عثمان ولون عثمان يتغيّر، قال: فلمّا كان يوم الدّار قلنا: ألا تقاتل؟ قال: لا إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إليّ أمرًا فأنا صابر نفسي عليه"[75].

ويتواصل الإنذار بمقتل عثمان مع تغيير آليّة الإنذار فيتمّ الاعتماد على الرؤيا، فروي عن عثمان أنّه قال ليلة مقتله: "إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في المنام، ورأيت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وإنّهم قالوا لي: اصبر فإنّك تفطر عندنا القابلة، ثمّ دعا بمصحف فنشره بين يديه فقتل وهو بين يديه"[76]. ومن الأخبار ما يجعل عثمان يختار القتل على النصرة وهو ما يؤكّده قول عثمان وهو محصور: "رأيت رسول الله في هذه الخوخة [...] فقال: حصروك؟ قلت: نعم، قال: أعطشوك؟ قلت: نعم. قال: فأدلى لي دلوًا فشربت منه حتّى رويت فإنّي لأجد برده بين كتفي وبين يدي، قال: إن شئت نُصِرت عليهم، وإن شئت أفطرت عندنا، فاخترت أن أفطر عنده"[77].

إنّ أهمّ ما ترمي إليه هذه الأخبار هو رفع عثمان إلى مرتبة الشهداء الّتي أسندتها إليه كتب الحديث في عديد المناسبات فروي عن عثمان قوله لمحاصريه يوم الدار: "أنشدكم بالله وبالإسلام، هل تعلمون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثبير مكّة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتحرّك الجبل حتّى تساقطت حجارته بالحضيض، قال: فركضه برجله وقال: اسكن ثبير فإنّما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان، قالوا: اللهمّ نعم، قال: الله أكبر شهدوا لي وربّ الكعبة أنّي شهيد ثلاثًا"[78].

[74] الطبراني، المعجم الكبير، ج 1، ص 84
[75] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 106
[76] مسند ابن حنبل، مسند العشرة المبشّرين بالجنّة، الحديث 495
[77] ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 1، ص 489
[78] سنن الترمذي، باب في مناقب عثمان بن عفّان.

يندرج اعتبار عثمان شهيدًا في إطار جداليّ مع المخالفين أهل السنّة الذين اعتبروا عثمان محدثًا، بل خارجًا عن الملّة ممّا يوجب قتله. ويتعمّق التأكيد على شهادة عثمان بإثبات أخبار تتعلّق بدفن عثمان دون أن يغسّل، أي إنّه يعامل معاملة الشهداء فروي "عن عبد الله بن فرّوخ قال: شهدت عثمان بن عفّان دُفن في ثيابه"[79]. وفي الوقت الّذي أكّدت بعض الأخبار أنّ عثمان لم يصلّ عليه جعلت كتب الفضائل الملائكة تصلّي على عثمان فروي "عن عمر بن الخطّاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: يوم يموت عثمان تصلّي عليه ملائكة السماء. قلت: يا رسول الله، عثمان خاصّة أم الناس عامّة؟ قال: عثمان خاصّة"[80].

ولا تكتمل صورة الخليفة الشهيد إلاّ بمصيره الأخرويّ فيأتي عثمان يوم القيامة داميًا فقد دعا النبيّ عثمان وقال: "ادن يا أبا عمرو، ادن يا أبا عمرو، فلم يزل يدنو منه حتّى ألصق ركبتيه فنظر رسول الله إلى السماء فقال: سبحان الله العظيم ثلاث مرّات ثمّ نظر إلى عثمان وكانت إزاره محلولة فزرّها رسول الله بيده ثمّ قال: اجمع عطفي ردائك على نحرك، ثمّ قال: إنّ لك شأنًا في أهل السماء، أنت ممّن يرد على حوضي وأوداجه تشخب دمًا"[81].

لم يكن إزار عثمان المحلولة في الخبر إلاّ خلافته الّتي عقدها النبيّ له بيده، غير أنّ الخلافة ستؤدّي إلى مقتله وسيرافق دم عثمان المسلمين إلى يوم القيامة ليرد به حوض النبيّ ليكون شفيعًا للمؤمنين ومحاسبًا لخاذليه وهو المعنى الّذي يؤكّده عبد الله بن عبّاس بقوله: "كنت قاعدًا عند النبيّ صلى الله عليه وسلم إذ أقبل عثمان بن عفّان رضي الله عنه فلمّا دنا منه قال: "يا عثمان تُقتل وأنت تقرأ سورة البقرة فتقع من دمك على [فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ] وتُبْعَث يوم القيامة أميرًا على كلّ مخذول، يغبطك أهل المشرق والمغرب وتشفع في عدد ربيعة ومضر"[82]. وفي هذا الخبر إذن تأكيد أنّ عثمان يُقتل مظلومًا وهو ما ينسجم مع العقائد السنّيّة، وهو مندرج في إطار التأكيد على مصير عثمان الأخرويّ باعتباره شهيدًا يحقّ له الشفاعة مثل باقي الشهداء.

[79] ابن الجوزي، صفوة الصفوة، ج 1، ص 305
[80] المحبّ الطبري، الرياض النضرة، ص 497
[81] ابن حنبل، فضائل الصحابة، ج 1، ص 525
[82] الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3، ص 110

المصادر والمراجع

ملاحظة: رتّبنا المصادر والمراجع ترتيبًا ألفبائيًّا دون اعتبار ألف ولام التعريف و«ابن» و«أبو»، ولم نثبت منها إلاّ ما ذُكر في هوامش العمل.

المصادر:

- ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن عليّ)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**، بيروت، دار الفكر، 1419هـ / 1998م.
- ابن الأثير (عزّ الدين أبو الحسن عليّ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضي، بيروت، دار صادر، 1415هـ / 1995م.
- الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله)، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، بيروت، دار الكتاب العربي، ط. 4، 1405هـ.
- البخاري (محمّد بن إسماعيل)، **الجامع الصحيح**، ضبط النصّ محمود محمّد محمود حسن نصّار، دار الكتب العلميّة، 1421هـ / 2001م.
- الترمذي (أبو عيسى محمّد بن عيسى)، **السنن**، تحقيق محمّد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث، (د. ت.).
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **الرسائل**، شرحه وعلّق عليه محمّد باسل عيون السود، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1420هـ / 2000م.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، **رسالة في بني أميّة**، ضمن المقريزي، **النزاع والتخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم**، ويليه **رسالة للجاحظ في بني أميّة**، عني بتصحيحهما الشيخ محمود عرنوس، القاهرة، (د. ت.).
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن عليّ)، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمّد ومصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1412هـ / 1992م.
- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن عليّ)، **صفوة الصفوة**، تحقيق محمود فاخوري، ومحمّد روّاس قلعة جي، بيروت، دار المعرفة، ط. 2، 1399هـ / 1979م.
- الحاكم النيسابوري (محمّد عبد الله أبو عبد الله)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1411هـ / 1990م.
- ابن حجر العسقلاني (أحمد بن عليّ بن محمّد)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، 1379هـ.
- الحموي (ياقوت بن عبد الله)، **معجم البلدان**، بيروت، دار الفكر، (د. ت.).
- ابن حنبل (أبو عبد الله أحمد)، **كتاب فضائل الصحابة**، تحقيق وصيّ الله محمّد عبّاس، بيروت، مؤسّسة الرسالة، 1403هـ / 1983م.
- أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني)، **السنن**، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، (د. ت.).
- ابن سعد (محمّد بن منيع البصري الزهري)، **الطبقات الكبرى**، بيروت، دار صادر، 1985م.
- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمان)، **تاريخ الخلفاء**، عني بتحقيقه إبراهيم صالح، بيروت/ دمشق، دار صادر/ دار البشائر، ط. 1، 1417هـ / 1997م.
- الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيّوب)، **المعجم الكبير**، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل، مكتبة العلوم والحكم، ط. 2، 1404هـ / 1983م.
- الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير)، **تاريخ الأمم والملوك**، بيروت، دار الكتب العلميّة، 1408هـ / 1988م.

- الطبري (محبّ الدين أبو جعفر أحمد بن عبد الله)، **الرياض النضرة في مناقب العشرة**، تحقيق وتعليق حمزة النشرتي وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى، القاهرة، المكتبة القيّمة، (د. ت.).
- ابن العربي (أبو بكر محمّد بن عبد الله)، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبيّ** ρ، حقّقه محبّ الدين الخطيب، خرّج أحاديثه محمود مهدي الإستانبولي، بيروت، دار الجيل، (د. ت.).
- ابن قتيبة (أبو محمّد عبد الله بن مسلم)، **الإمامة والسياسة**، (منسوب إليه)، عني بتصحيح محمّد ابن بدر الدين النعساني، القاهرة، 1325هـ.
- القلهاني (أبو سعيد محمّد بن سعيد)، **الكشف والبيان**، تحقيق محمّد بن عبد الجليل، تونس، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصاديّة والاجتماعيّة، 1984م.
- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي)، **البداية والنهاية**، بيروت، مكتبة المعارف، (د. ت.).
- ابن ماجة (أبو عبد الله محمّد بن يزيد)، **السنن**، تحقيق محمّد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، (د. ت.).
- المالقي الأندلسي (محمّد بن يحيى بن أبي بكر)، **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، تحقيق محمود يوسف زايد، الدوحة، دار الثقافة، 1405هـ.
- مسلم (ابن حجّاج القشيري)، **الصحيح، بشرح النووي**، حقّق أصوله وخرّج أحاديثه خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، 1421هـ / 2000م.
- النابلسي (عبد الغنيّ)، **تعطير الأنام في تعبير المنام**، تحقيق معروف زريق، بيروت، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر، ط. 2، 1410هـ / 1990م.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر)، **تاريخ اليعقوبي**، بيروت، دار صادر، (د. ت.).

المراجع:

- الجابري (محمّد عابد)، **العقل الأخلاقيّ العربي**، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2006.
- جعيّط (هشام)، الفتنة، جدليّة الدين والسياسة في الإسلام المبكّر، بيروت، دار الطليعة، ط 4، 2000. (ترجمة خليل أحمد خليل بمراجعة المؤلّف).
- خضر (العادل)، **الأدب عند العرب**، تونس، منشورات كليّة الآداب بمنّوبة، دار سحر، 2004.
- السعفي (وحيد)، **في قراءة الخطاب الديني**، تونس، نجمة الدراسات والنشر والتوزيع، 2008.
- الشرفي (عبد المجيد)، «تنزيل القرآن وتأويله، مواقف كلاسيكيّة وآفاق جديدة»، تعريب حسناء التواتي، **الحياة الثقافيّة**، عدد 56، (1990)، ص ص 22- 31.
- الشرفي (عبد المجيد)، **الإسلام بين الرسالة والتاريخ**، بيروت، دار الطليعة، 2001.
- هوّاري (زهير)، **السلطة والمعارضة في الإسلام، بحث في الإشكاليّات الفكريّة والاجتماعيّة**، 11- 132هـ / 616- 750م.
- الوريمّي بوعجيلة (ناجية)، **الإسلام الخارجي**، بيروت، دار الطليعة، 2006.

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com